أعمال مستحبة أثناء شهر رمضان

- إطعام الطعام:

من الأعمال الطيبة التي أمرنا الله بها: إطعام الطعام، ومدح أصحابها، فقال تعالى:

﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ الإنسان/٨.

وقد أورد المفسرون العديد من الروايات في سبب نزول هذه الآية، إلا أن القرطبي ذكر[1]: (والصحيح أنها نزلت في جميع الأبرار، ومن فعل فعلاً حسنًا، فهي عامة).

وذكر الفخر الرازي ما ورد من أن هذه الآية نزلت في حق علي عليه السلام، ثم قال: «وهذه صيغة جمع فتتناول جميع الشاكرين والأبرار، ومثل هذا لا يمكن تخصيصه بالشخص الواحد، لأن نظم السورة من أولها إلى هذا الموضع يقتضي أن يكون هذا بيانًا لحال كل من كان من الأبرار والمطيعين، فلو جعلناه مختصًا بشخص واحد لفسد نظم السورة.. وإطعام الطعام كناية عن الإحسان إلى المحتاجين والمواساة معهم بأي وجه كان، وإن لم يكن ذلك بالطعام بعينه، ووجه ذلك أن أشرف أنواع الإحسان هو الإحسان بالطعام وذلك لأن قوام الأبدان بالطعام ولا حياة إلا به، وقد يتوهم إمكان الحياة مع فقد ما سواه، فلما كان الإحسان لا جرم عبر به عن جميع وجوه المنافع، والذي يقوي ذلك أنه يعبر بالأكل عن جميع وجوه المنافع، فيقال أكل فلان ماله إذا أتلفه في سائر وجوه الإتلاف»[2].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم ج١٩ ص١٢٨.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي ج٣٠ ص٢٤٤، ٢٤٥

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ۝٢٩ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝٣٢ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۝٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣٤﴾[1].

فقد أشار الله ﷻ في أول السورة إلى أصحاب اليمين، وإلى المعيشة الطيبة والجنة العالية والطيبات التي يمنحها الله لهم، ثم أشار إلى أصحاب الشمال، وتقييدهم بالسلاسل في الجحيم - وهي النار العظمى - ثم ذكر الله ﷻ، بعد وصفهم بعدم الإيمان بالله العظيم، أنهم لا يحضون على طعام المسكين، (وقال صاحب الكشاف قوله: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣٤﴾ فيه دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المساكين:

احدهما: عطفه على الكفر وجعله قرينة له.

والثاني: ذكر الحض دون الفعل ليعلم أن تارك الحض بهذه المنزلة، فكيف بمن يترك الفعل!.

وعن أبي الدرداء أنه كان يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين، ويقول: خلعنا نصف السلسلة بالإيمان أفلا نخلع النصف الباقي)[2].

ويا حبذا لو كان هذا الإطعام للفقراء والمساكين في رمضان فانه - ككل الأعمال الطيبة - يُضاعف ثوابه أضعافًا مضاعفة وبخاصة أيضًا إذا كان المطعوم صائمًا، لقول رسول الله ﷺ: (من أفطر صائمًا فله مثل أجره)، (من أطعم مسلمًا جائعًا أطعمه الله من

---

(١) سورة الحاقة - من الآية ٢٥ إلى الآية ٣٤.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي ج٣٠ ص١١٥.

ثمار الجنة)، (من أطعم أخاه المسلم شهوته حرمه الله على النار)[1].

- تلاوة القرآن.. في شهر الصيام:

القرآن الكريم.. هو كلام الله ﷻ... الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيل من عزيز حميد، وهو الفصل ليس بالهزل، الذي أنزله الله هدى ورحمة للعالمين، إلى يوم الدين.

وتلاوة القرآن عبادة، ويثاب عليها المرء بكل حرف حسنة، والله يضاعف لمن يشاء الحسنة الواحدة إلى سبعمائة أو أكثر.

وقراءة القرآن في شهر رمضان، أو أثناء الصيام بصفة خاصة، من أفضل العبادات التي يتقرب بها إلى الله ﷻ، وهكذا كان يفعل رسول الله ﷺ.

(وكان من هديه ﷺ في شهر رمضان الإكثار من أنواع العبادات، فكان جبريل عليه الصلاة والسلام يدارسه القرآن في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة وكان أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان يكثر فيه من الصدقة والإحسان وتلاوة القرآن والصلاة والذكر والاعتكاف، وكان يخص رمضان من العبادة بما لا يخص غيره به من الشهور)[2].

وقد أشار الإمام الفخر الرازي إلى صلة شهر رمضان بالقرآن فقال[3]:

«وأما قوله ﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ اعلم أنه تعالى لما خص هذا الشهر، بين العلة لهذا التخصيص، وذلك هو أن الله سبحانه خصه

---

(١) الجامع الصغير ص١٦٥.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ج١ ص١٥٤.

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي ج٥ ص٨٤.

بأعظم آيات الربوبية، وهو أنه أنزل فيه القرآن، فلا يبعد أيضًا تخصيصه بنوع عظيم من آيات العبودية وهو الصوم، مما يحقق ذلك أن الأنوار الصمدية متجلية أبدًا يمتنع عليها الإخفاء والاحتجاب، إلا أن العلائق البشرية مانعة من ظهورها في الأرواح البشرية، والصوم أقوى الأسباب في إزالة العلائق البشرية، ولذلك فإن أرباب المكاشفات لا سبيل لهم إلى التوصل إليها إلا بالصوم، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات» فثبت أن بين الصوم وبين نزول القرآن مناسبة عظيمة، فلما كان هذا الشهر مختصًا بنزول القرآن، وجب أن يكون مختصًا بالصوم، وفي هذا الموضع أسرار كثيرة والقدر الذي أشرنا إليه كاف ههنا».

عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة[1]. ريحها طيب وطعمها طيب. ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة. لا ريح لها وطعمها حلو. ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة. ريحها طيب وطعمها مر. ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر».

- الاعتكاف في شهر رمضان:

الاعتكاف لغة: لزوم الشيء، وحبس النفس عليه.

أما الاعتكاف شرعًا: فهو المقام في المسجد بشروط مخصوصة.

فالاعتكاف سنة واظب عليها رسول الله ﷺ وأصحابه وأزواجه من بعده، «فعن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر

---

(١) الأترجه هي ثمر حامع لطيب الطعم والرائحة وحسن اللون. يشبه البطيخ

الأواخر من رمضان، حتى توفاه الله ﷻ، ثم اعتكف أزواجه من بعده»[1] متفق عليه.

- وعن الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «من اعتكف عشرًا في رمضان كان كحجتين وعمرتين»[2].

- وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «من اعتكف إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»[3].

- عن الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «اعتكاف عشر في رمضان كحجتين وعمرتين»[4].

- عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كل مسجد فيه إمام ومؤذن فالاعتكاف فيه يصلح»[5].

- عن ابن عباس: «المعتكف يكف الذنوب. ويجري له من الأجر كأجر عامل الحسنات كلها»[6].

- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «من اعتكف إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن اعتكف فلا يحرمن الكلام»[7].

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان النبي ﷺ يعتكف عشرًا، فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه»[8].

فالمقصود من الاعتكاف هو جمع القلب على الله تعالى بكثرة

---

(١) سبل السلام ج٢ صفحتي ٦٨٤، ٦٨٥.

(٢) رواه البيهقي.

(٣) أخرجه الشيخان - الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج٢ ص١٥٢.

(٤) رواه الطبراني.

(٥) رواه الدار قطني.

(٦) رواه ابن ماجة والبيهقي.

(٧) رواه البيهقي.

(٨) رواه البخاري.

ذكر الله وإقام الصلوات المفروضة والمسنونة وتسبيح الله وتحميده وتهليله، والتفكر في ملكوت السماوات والأرض وقراءة القرآن الكريم وتدبر آياته، والإعراض عما عدا ذلك من اللغو واللهو واقتراف المحرمات وكل ما نهى الشرع الإسلامي الحنيف عنه، مع عدم الإكثار من ملء المعدة بالطعام والشراب وذلك حتى تكون مدة الاعتكاف رياضة للبدن وتهذيب للنفس، وتعويدها على كثرة الطاعات واجتناب المنهيات، وإمداد الروح والقلب بطاقة نورانية، تكون له ذخرًا على امتداد باقي شهور العام.

فالاعتكاف نوع من العزلة المؤقتة عن مشاغل الدنيا، وعن الناس وتكالبهم على أعراض الدنيا الفانية وزينتها، وهو في الوقت نفسه إقبال على طاعة الله ﷻ، وكبح جماح النفس عن البحث عن ملذات الدنيا والحرص عليها وعلى الإكثار منها، لذا ينصح العلماء الربانيون بالخلوة والعزلة، لفائدة ذلك في إحياء القلب، والفلاح في الآخرة، ومن هذه النصائح نشير إلى ما يلي[1]: (ليست السباع في البرية. بل السباع في الأسواق والطرقات، وهي المويقات التي تنهش قلوب المؤمنين نهشًا وتصرفها عن ذكر الله تعالى.

فعليك بالخلوة والعزلة، متى استطعت إلى ذلك سبيلاً فمن كانت العزلة دأبه، كان العز له، ومن صدقت عزلته، وصرفها في طاعة ربه ظفر بمواهب الحق له بالمنن، وعلامة ظهور المنن عليه؛ كشف الغطاء، وإحياء القلب، وتحقيق المحبة، والغيرة على دين الله وشرعه، والمحافظة على حدود الله تعالى.

فيا عبد الله غيب نظر الخلق إليك بنظر الله إليك، وغب عن إقبالهم عليك بشهود إقباله عليك.

ومتى أوحشك الله من خلقه، فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب

---

(١) التحفة في التصوف لابن عطاء الله السكندري ص١٢٠.

الأنس به.

ورد في الحديث القدسي: «أهل ذكري أهل مؤانستي» وما سلط عليك ألسنة العباد إلا لترجع بالتوبة إليه. لو انقطعت عن الخلق، لفتح لك باب الأنس به تبارك وتعالى. لأن الأولياء قهروا أنفسهم بالخلوة والعزلة، وقطموها عن شهوات الحياة الدنيا. وأدبوها بالعفة والقناعة، والاستغناء بالحلال الطيب عما في أيدي الناس، وذبحوا شهوات الطمع والشهوة بسكين الخوف فسمعوا من الله، وأنسوا به، وتلذذوا بمناجاته وفازوا بمتعة القرب منه ﷻ، قال تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾[1].

فعلى العبد أن يحرص على سنة الاعتكاف على قدر الطاقة، فمن تسمح أحواله بالاعتكاف العشر الأواخر من رمضان، فقد أتى بالسنة، ونال خيرًا كثيرًا، ومن سمحت ظروفه بالاعتكاف مدة أقل، فبها ونعمت.

وعلى كلٍ، فالمصلي عندما يدخل المسجد في أي وقت من شهر رمضان أو في غير شهر رمضان، فيمكنه أن يقول: «نويت الاعتكاف في المسجد ما دمت فيه» فبذلك يأخذ ثواب الاعتكاف طوال المدة التي يمكثها في المسجد علاوة على ثواب الصلاة وذكر الله الذي يردده طوال وجوده بالمسجد، فأقل مدة للاعتكاف لحظة زمانية تتسع لقول: «سبحان الله العظيم» إلا عند المالكية فأقله يوم وليلة.

- قيام الليل:

شهر رمضان من الأشهر المباركة التي فرض فيها الصيام نهارًا لتطهير النفس والبدن، وقد جاء الحث على قيام شهر رمضان، ليلاً، ليزداد تطهير النفس، ولتشرق الأنوار على القلب، فتعم الفائدة، فائدة القيام ليلاً،

(١) العلق/ ١٩.

وفائدة الصوم نهارًا ، فيخرج العبد من شهر الصيام مغفورًا له.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان رسول الله ﷺ يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمر فيه بعزيمة فيقول: «من قام رمضان إيمانًا[1] واحتسابًا[2] غفر له ما تقدم من ذنبه»[3].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رسول الله ﷺ، صلى في المسجد ذات ليلة ، فصلى بصلاته الناس، ثم صلى من القابلة ، فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة ، فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ، فلما أصبح قال: «لقد رأيت الذي صنعتم فلم يمتعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم»[4].

قال النووي: «قيام رمضان يحصل بصلاة التراويح، أي أنه لا يشترط استغراق كل الليل بصلاة القيام»[5]. أما مغفرة ما تقدم من الذنوب لمن قام رمضان، فيحتمل أن تكون لمن قام جميع ليالي رمضان، وأن من قام بعضها لا يحصل له ما ذكره من المغفرة، وإطلاق الذنب شامل للكبائر والصغائر، وقال النووي: المعروف أنه يختص بالصغائر، وبه جزم إمام الحرمين، ونسبه عياض لأهل السنة وهو مبني على أنها لا تغفر الكبائر إلا بالتوبة ، وقد زاد النسائي في روايته «ما تقدم وما تأخر»[6].

والظاهر أن قيام رمضان يحصل بصلاة الوتر إحدى عشر ركعة ، كما كان ﷺ يفعله في رمضان وغيره كما سلف في حديث السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أما التراويح على ما اعتيد الآن، فلم تقع

(١) إيمانًا: أي تصديقًا بوعد الله للثواب.

(٢) احتسابًا: أي ينوي بهذا العمل ويريد وجه الله.

(٣) نزهة المتقين ج٣ ص٨٤٥.

(٤) صحيح مسلم ج١ ص٥٢٤ ، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح.

(٥) سبل السلام ج٢ ص٦٨٣

(٦) المرجع السابق.

في عهده ﷺ[1]، حيث سن لهم التراويح والجماعة فيها ولكنه لم يصلها معهم إلا ليلتين أو ثلاث، ولم يخرج إليهم بعد ذلك، خشية أن تفرض عليهم، كما صرح به في بعض الروايات، ويتبين أيضًا أن عددها ليس مقصورًا على الثمان ركعات التي صلاها بهم بدليل أنهم كانوا يكملونها في بيوتهم، وقد بين فعل عمر رضي الله عنه أن عددها عشرون، حيث أنه جمع الناس أخيرًا على هذا العدد في المسجد، ووافقه الصحابة على ذلك، ولم يوجد لهم مخالف ممن بعدهم من الخلفاء الراشدين[2]، وقد قال النبي ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ» رواه أبو داود.

فقيام وصيام شهر رمضان يكمل كل منهما الآخر في الخير والبركة والمنفعة حيث يعمل العبد على قضاء هذا الشهر الكريم في أداء العبادات والطاعات والخيرات ليلاً ونهارًا، فمن انتهز فرصة حلول هذا الشهر الكريم وأكثر من الطاعات فقد ضوعفت حسناته وأعماله الصالحة، وادخر لحياته الآخرة خيرًا كثيرًا ومغفرة من الله ﷻ.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الفقه على المذاهب الأربعة، ج١ ص٣٤٠ وما بعدها - فقه السنة ج١ ص١٥٣ بتصرف.